  المحاضرة الثانية :المقدمة الطللية و الغزلية

**أولاً:** **مقدمة الطلل:**

تعد المقدمات الطللية بداية المرحلة الشعورية التي مرر من خلالها الشاعر العربي القديم احاسيسه, وبسط افكاره, لتتناسق في إطار موضوعي متكامل.

فقد وجد الشعراء في مواقف الطلل ما يثير عواطفهم, ويلزمهم بالوقوف أمامه لبرهة من الزمن, فقد ذابت بين حنايا اثار ديارهم ايامهم العزيزة, واندثرت عند نؤيها واحجارها أجمل الذكريات, تلك التي كانت صورها تتداعى في اذهانهم ملوية مشوهة, وتتعالى امام أعينهم خافتة و مندثرة.

وقد كان تذكر الديار والاطلال بمثابة «الرموز لتجربة الالم التي يجد فيها الشاعر راحة ولذة نفسيتين يطمئن اليهما في التعبير عن بعض مشاعره الحبيسة», وتؤدي وظيفة خلق الجو الشعري الذي يمنح الشاعر القدرة على القول, لأنه يصبح في حالة معاناة شعرية حادة تمده بالمشاعر التي تمكنه من التنفيس عن كل ما يحتمل في قلبه من عواطف وأفكار؛ وهو في ذات الوقت يهيئ الجو المناسب للمتلقي الذي يجد في هذه المعاناة شبها لما يعانيه أو يحس به

والمقدمات الطللية تحتوي على الكثير من المواقف التي دأب الشعراء على تناولها في قصائدهم, ولاسيما الوقوف على الطلل, وتحديد المنازل،واستعجام الدِّمَن،ووصف بقايا الآثار, واثر الرياح والأمطار, ووصف قطعان الوحوش في عرصاتها, زيادة على استيقاف الاصحاب وسؤالهم, والبكاء معهم, واستذكار الأيام الماضية, وتذكر أهلها الراحلين

وقد قدم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الكثير من قصائده بهذه المقدمات, مستثمرا إيحاءاتها في خلق الجو الشعري الذي يمنحه القدرة على الدخول في الغرض, ومقتفيا في ذلك أساليب القدامى في مقدماتهم, زيادة على ما تمليه التجربة الخاصة, وطبيعة العصر والبيئة من لمسات وابعاد تميزه عن غيره.

فمن قصيدة يرثي فيها الامام الحسين: قوله ــ من الكامل ــ:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أقوت فهن من الأنيس خلاءُ |  | دمنٌ محت آياتها الأنواءُ |
| درست فغيّرها البلى فكأنما |  | طارت بشمل أنيسها عنقاءُ |
| يادار مقرية الضيوف بشاشة |  | وقراي منك الوجد والبرحاءُ |
| عبقت بتربك نفحة مسكية |  | وسقت ثراك الديمة الوطفاءُ |
| عهدي بربعك آنِسا بك آهلاً |  | يعلوه منك البشر والسرّاءُ |
| وترى ربوعك للنواظر أثمد |  | والعقد حلي ضيائك الحصباءُ |
| قد كان مجتمع الهوى واليوم |  | في عرصاته تتفرق الأهواءُ |
| أخنى عليه دهره والدهر لا |  | يُرجى له بذوي الوفاء وفاءُ |

حيث سار الشاعر في هذه المقدمة على نهج القدماء من الاشارة الى اقواء الديار واندثار معالمها, والدعاء لها بالسقيا بعد أن اقفرت من أهلها, واخنى عليها الدهر, وكأنه معنيّ بملاحقة هذه التفاصيل الجزئية من الحديث عن الطلل, وبصورة تعكس خضوع الشاعر للتقاليد الفنية القديمة التي تاثر بها مع معاصريه في ذلك العصر, ومحاولة اضفاء ايحاء صورة الطلل وتداعيات الآثار والماضي الحزين لتلك الديار التي تركها الحسين بعد استشهاده خالية مبعثرة بعد سلبها وحرقها في كربلاء.

وله في رثاء بعض العلماء قوله ــ من السريع ــ

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا هل يجيب الربع تسالي |  | عن رسمه المنطمس البالي |
| كم موقف لي بثنايا الحمى |  | بين ظلال السمر والضالِ |
| غارت جياد الوجد في مهجتي |  | بغور آياتٍ وأطلالِ |
| معالم اقوت ودور خلت |  | يا لاعداها صيّب الحالِ |
| اغلت بنار الوجد مني الحشا |  | وأرخصت في دمعي القالِ |
| وقفت في أجراعها حائراً |  | اعثر في فاضل اذيالي |

حيث ذكر الشاعر بعض عناصر لوحة الطلل من الوقوف والسؤال ومخاطبة الديار, مع توسع في البكاء والحيرة, ووصف الالم والمعاناة من دون مزيد من التفصيل بذكر النؤي والاوتاد والاثافي, واثر حيوان الصحراء التي تبعد الشاعر كثيرا عن زمنه وبيئته.

وكذلك قدم الشاعر بعض قصائده في المديح بالمقدمة الطلليةالتي كانت اكثر تقليدا وتاثيرا بمقدمات القدامى واساليبهم, فقد قال في احدى المقدمات ــ من الطويل ــ

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أميلا رقاب اليعملات النجائب |  | على تلعات المنحنى فالأخاشبِ |
| وعوجا على سقط اللوى يا سقى اللوى |  | وأهليه نوء المدجنات الأهاضبِ |
| وإن جزمتما أكناف نجدٍ فحييا |  | قريباً إلى قلبي وان لم يقاربِ |
| ............................................................. |  | ............................................................. |
| فكم وقفةٍ لي بين دارس رسمها |  | أنادي وما غير الصدى من مجاوبِ |

فقد ذكر (اليعملات النجائب), ومر على (تلعات المنحنى والاخاشب وسقط اللوى واكناف نجد), ودعا للديار بالسقيا, وذكر أيام الصبا الماضية, ووقف مناديا احبته الراحلين, فلم يرد عليه إلا الصدى المتلاطم بين تلك الآثار والأطلال, فكأن الشاعر في ذلك قد تناسى البيئة التي يعيش فيها, والزمن الذي يبعده عن البداوة والصحراء, وبصورة تعكس تقليده وتمسكه بطرق القدامى وأساليبهم.

أما في التهاني فلم تخل قصائد الشيخ من الطلل وذكر الديار, فقد قال في مقدمة قصيدة يهنيء فيها السيد جعفر الحلي في دار عمّرها.

 ــ من الطويل ــ:

|  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- |
| سقى الدار من جون الغوادي عهودها |  | ولا زال منهل السحاب يجوده | |
| وسار بريا البشر عرف الهنا بها |  | | فأورق ذاويها وازهر عودها |

حيث اقتبس الشاعر من لوحة الطلل تلك العناصر التي تنسجم مع الغرض الرئيس من القصيدة (التهنئة في بناء دار), فقد دعا لها بدوام السقيا, وانتشار الهناء, والبشر بين ربوعه, تاركا تفاصيل الاثار والحزن واللوعة والفراق التي وجدها بعيدة عن غرضه وغير متناسبة مع الاطار العام لقصيدته.

وفي بعض الاحيان يحاول الشاعر ان يخرج في مقدمته الطللية من اثار التقليد الواضح, ويمنحها شيئا من الحداثة والتجديد, فالديار البالية تتحول الى قصور, واماكن الصحراء يستغني عنها بوادي الغري[]](http://www.dte.ir/portal/home/?news/6503/106980/77633/%D8%A7%D9%88%D9%84%D8%A7--%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3%D9%87" \l "_ftn15" \o ")), فلا وجود لبقايا الاثافي والاوتاد, ولا أثر الوحوش وفعل الرياح,كما يظهر ذلك في مقدمة احدى قصائده مخاطبا رفقاء سفره ــ من الطويل ــ

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| خذوا لوعة المشتاق يا ايها السّفرُ |  | إلى الحي حيث الحي آرامه عفر | | |
| وعوجوا على وادي الغري فلي به |  | | غرائر الحاظٍ لها اوجهٌ غرُ |
| وقولوا لسكان القصور صبابتي |  | وصيّب اجفاني على حوركم قصرُ | |

ومعنى ذلك يظهر بأن الشيخ في مقدماته الطليلة كان متأثراً ومقلداً للقدامى في مقدماتهم, فقد ذكر الاماكن التي اعتادوا على ذكرها, ووقف عليها، وسأَل الاخوان, وتذكر الراحلين, ودعا بالسقيا, دون عناية بتفصيل صورة الاثافي والاثار والاطلال, بل كان يركز على البكاء واثر الفراق الذي يناسب كل بيئةٍ وزمان, مع محاولة خجولة لتوظيف المقدمة الطللية في اطار عصري جديد.

**ثانيا:مقدمة الغزل**

قدم الكثير من شعراء العربية قصائدهم بالغزل والنسب, فشكوا شدة الشوق والم الفراق وفرط الصبابة, ملفتين في ذلك انتباه السامعين, ومستدعين اسماعهم, لان النسيب قريب من النفوس لايط بالقلوب, لما جعل الله من تركيب العباد من محبة الغزل والف النساء, فليس يخلو احد من ان يكون متعلقا منه بسبب او ضارب فيه بسهم حلال ام حرام.

وفي الوقت نفسه يجب ان نعرف بان حيوية الغزل وصورة المرأة لها القدرة على الفعل والانفعال والقابلية على التعبير عن مدلولات اكثر تشعبا واثارة من تلك التي يعبر عنها الطلل.

فقد كان لها ان تضع الشاعر امام تجربة اكثر إجهادا ولكنها اقدر على توفير عناصر الايحاء, المطلوب من الشاعر توفيرها ليدخل إلى الغرض الرئيس من القصيدة ويمهد للمتلقي تقبله.

وعادة ما تتالف هذه المقدمة من حديث عن صد المحبوبة وهجرها او بعدها وانفصالها, وما يخلفه الهجر والمطل والفراق من تعلق شديد, وشوق مستبد, ودموع غزار, يسكبها الشاعر حسرة والما ولهفة, وسرعان ماتفد على خاطره أيامه الماضية السعيدة وذكرياته الحلوة الجميلة,حيث كان يلتقي بمحبوبته ويبوح كل منهما لصاحبه بحبه ويبادله اعجابا باعجاب وشوقا بشوق حتى اذا ما انتهى من ذلك مضى يصف محاسنها ومفاتن جسدها. لينتقل بعد ذلك إلى الرحلة أو الغرض.

وقد احتلت هذه المقدمة حضورا واسعا في شعر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء([20 وربما كان ذلك لتاثره بالبحتري الذي حفظ اغلب غزلياته وصدور مدائحه منذ الصغر().وكذلك مناسبة استعمال الغزل وعلاقته بالمراة كمعادل موضوعي في قصائد المديح والتهنئة ورسائل الشوق والفراق. فقد كان يختار من الغزل مشاعر الحب والشوق وبعض العواطف الأخرى والتي يمكن ان تتشابه مع مشاعره تجاه من يقصده من اصدقائه وأقربائه.

ففي مقدمة احدى قصائده التي يمدح فيها احد اصدقائه من السادة العلويين:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| من لي بلثم سوالف الآرام |  | وبضم قدٍ اهيفٍ وقوامِ |
| وبمهجتي الرشأ الذي في مهجتي |  | يرتاد لا في سوسن وبشامِ |
| أهوى مقبله وأخشى عقرب |  | الصدغ الذي يرمي الحشا بسمامِ |
| عذب اللمى استعذبت فيه تعذبي |  | وغدوت فيه مغرماً بغرامي |
| ياريم كم لك في القلوب مراتع |  | من هدب لحظك اثخنت بسهامِ |
| تبدو فترنوا عن نواظر جؤذر |  | في دل غانية وقدّ غلامِ |

فقد قدم الشاعر قصيدته بمقدمة غزلية عبر من خلالها عن عواطفه وأحاسيسه تجاه المرأة, تلك المحبوبة التي تشبه الظبي المرتاد في مهجته وحشاه عوضا عن المراتع والرياض, وهي ذات القوام الرشيق والقد الاهيف, وذات اللمى العذب, ونظرات الجؤذر التي ترمي الشاعر بسهام لحظها الفتاك, مع مالها من رقة ودلال.

وقد اتسمت مقدمات الشيخ الغزلية بالطول, ولاسيما في الشعر الاخواني, ولعل ذلك نابع من حرص الشاعر على اظهار براعته في النظم والتفنن في الشعر. لان اغلب تلك القصائد كانت تُقرأ وتلقى في محفل من الناس, يتباهى فيها الشاعر مع بعض اخوته ومحبيه من الادباء والشعراء, فيبذل من اجل ذلك جهدا فنيا واضحا في تلك القصائد, هذا فضلا عن كون المقدمة الغزلية اقدر المقدمات على استيعاب مشاعر الشاعر, وأكثر قابلية على تلبية رغباته وعواطفه تجاه اصدقائه واقربائه.

فمن ذلك قوله مهنئا أحد أصدقائه بالزواج ــ من الخفيف):

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا أخا الظبي حبذا لك قلبي |  | مرتعاً لا كبى الحمى والشيحا |
| اعر الروض من شذاك نفوحاً |  | واعطِ للشمس من سناك وضوحاً |
| ............................................................ |  | ............................................................ |
| ما انثنت نحوك الجوارح إلا |  | عدن من ذلك التثني جروحاً |
| تتهادى مثل المهاة فتهدى | ~ | الوجد للعاشقين والتبريحا |
| شق قلبي شقيق خدّك لما |  | فتحت روضة الصبا تفتيحا |

فالشاعر يتمنى أن يكون قلبه مرتعا لذلك المحبوب الذي أعطى الرياض شذاها والشمس نورها وسناها, وعذب جوارح العشاق وشغل قلوب المحبين, بشقيق الخدود, ونبل النواظر, وعبر عن عواطفه, ولواعجه بمقدمة احتلت أكثر من نصف حجم القصيدة.

وربما يظهر استعمال الشيخ للغزل كمعادل موضوعي بصورة واضحة في رسالة شعرية بعثها إلى صديقه الشيخ اغا رضا الاصفهانياحتلت معاني الجمال ومشاعر الوجد والشوق اغلب القصيدة وبالاعتماد على ضمير المذكر.فقد قال ــ من الرجز)ــ :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أروضةُُ هزَّ الصبا أراكها |  | أم قامة تهتز ما أراكها |
| ووجنة ما قد زها ام وردة |  | بين ضلوعي انبتت اشواكها |
| وتلك الحاظك ام شوك القنا |  | أو لا فهذي مهجتي من شاكها |
| يا كعبة تنسكت أهل النهى |  | فيها ولكن فتنت نُساكها |

فقد عبر عن عواطفه وحبه في هذه المقدمة الغزلية التي اختار منها صفات الجمال ومشاعر الود وتباريح الهوى وبشكل لا يختص كثيرا بالنساء, ومن الممكن اطلاق بعضها على الأصدقاء والأحباب, وليعكس الشيخ بذلك نموذجا واضحا في توظيف المقدمة الغزلية في قصائد شعره حيث كانت المقدمة الأوسع والأكثر استعمالاً فيها من دون بقية المقدمات.